



المحطة
الاشميرة

يرحم أيام «الباشا»!

قبل ٤٠ سنة نشرت صحيفة النهار اللبنانية خبراً عن مؤتمر درزي عام لحل الخلاف في الجبل. فقد توجه المرحوم كمال جنبلاط، وكان نائب جبل لبنان الى السويداء يرافقه عدد كبير من المشايخ والوجوه، وطلبوا فور وصولهم الى سلطان الاطرش والى زعماء الهيئة الشعبية وقف القتال وعقد مؤتمر عام للبحث عن حلول للمشكلة. وكانت المشكلة تكمن في صراع بين «الاطارشية» (جماعة سلطان الاطرش) من جهة، ومنافسيهم (الهيئة الشعبية) من جهة أخرى. فنزل «الباشا» عند رغبة الوفد واذاع بياناً يدعو فيه الاطارشية الى عدم الهجوم والدفاع عن النفس في حالة التعدي عليهم. وذلك بعد ان ظهر تفوق الاطارشية في المعركة وتطويقهم زعماء «الهيئة الشعبية»، وهي الجبهة المضادة للاطارشية. وكان الاطارشية قد اعتقلوا ثلاثة من قيادي «الهيئة الشعبية» وقادوهم الى مقر سلطان باشا. فما كان من هذا الا ان كرم وفادتهم وذبح لهم الخراف ثم اطلق سراحهم. واقسم الاطارشية بعد وصول كمال جنبلاط ان لا يرفعوا الاعلام الا في معارك مع الاجانب.

هذا ما حدث عام ١٩٤٧. وقد شهدنا، نحن ايضا، في شرق الأردن احداثاً من هذا النوع. تصطرع القبائل (في القرن الماضي ومطلع هذا القرن) لكنها كانت تكرم الاسير في الغلب الأعم، ثم تدخل الجاهات فينعقد لواء الصلح.

لا شك في ان هذه العادات لا تنتمي الى عصرنا الحديث. شأنها في ذلك شأن «الطرابيش»، فقد كادت ان تنقرض مع مرور الزمن وتطور طبيعة العصر. ولكننا نشعر بالحنين الى تلك الايام على الرغم من كل سلبياتها وتخلّفها، وبخاصة حين نرى ان الشاذي القليبي وكل الوجهاء الذين يروحون ويجيئون معه يعجزون عن اطفاء حريق واحد من مجموعة الحرائق المشتعلة في جسد الامة. ونشعر بالحنين الى تلك الايام ونحن نرى القوي يذبح خصمه السياسي الاضعف ويسحله ويعدمه دون محاكمة. ومع اننا ننظر في هذا العصر الى تعبير (تبويس اللحى) بعد خصومة، نظرة لا تخلو من سخرية وتهكم. الا اننا مع تبويس اللحى وذبح الخراف اذا كان هذا سيؤدي الى قسم بان لا ترفع الاعلام العربية الا في معارك مع الاجانب. وسقى الله أيام «الباشا» الذي لاذ بالاردن ذات يوم فعرّفنا فيه الفارس الشهم والقائد العظيم.

مؤنس الرزاز